انا لنأمل ما كانت اوائلنا ، من قبل تأمله ان ساعد القدر

قال عبد الله بن طاهر

رجيت ضجيعي السيف طورا وتارة ، بعض بهامات الرجال مضنا وبر

اخ ثقة ارضاه فى الروع صاحبا ، وفوق رضاه اننى انا صاحبه

وليس اخو العليا الا فتى له ، بها كلف ما تستقر كائبه

وقدم عروة بن الزبير على عبد الملك بعد قتل اخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير

وقال له اردده على فانه السيف الذى اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين

فقال عبد الملك او تعرفه قال نعم قال بماذا قال بما تعرف سيف ابيك اعرفه بقول الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ، بهن فلول من قراع الكتائب

قال الاجذع الهمدانى

لقد علمت نسوان همدان اننى ، لهن غداة الروع غير خذول

وابذل فى الهيجاء وجهى واننى ، له فى سوى الهيجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون الف فتى ما منهم احد ، الا كالف فتى مقدامة بطل

راحت مزاودهم مملوءة املا ، ففرغوها واوكوها من الاجل

وحكى الفضل بن يزيد قال نزل علينا بنو تغلب فى بعض السنين وكنت مشغوفا

باخبار العرب ان اسمعها واجمعها فبينما انا ادور فى اخبائهم اذا انا بامرأة واقفة فى فناء

خبائها وهى آخذة بيد غلام قل ما رايت مثله فى حسنه وجماله له ذوائب كالسبح المنظوم

وهى تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب والكرما

اسمع منها اى بنى وهو يتبسم فى وجهها قد غلب عليه الحيا والخجل كانه جارية بكر لا يرد جوابا

فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت فسلمت فرد على السلام فوقفت انظر

اليهما فقالت يا حضرى ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستماع لما ارى من هذا الغلام

فقالت يا حضرى ان شئت سقت اليك من خبره ما هو احسن من منظره قلت قد شئت

يرحمك

يرحمك الله قالت قد حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى اذا مضت له تسعة

اشهر وشاء الله عز وجل ان اضعه وضعته خلقا سويا فوربك ما هو الا ان صار لى مالك

ابويه حتى افضل الله عز وجل واتى من الرزق ما كفى واغنى ثم ارضعته حولين كاملين

فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش ابيه فربى كانه شبل اسد اقيه برد الشتاء

وحر الصيف الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين اسلمته الى المؤدب فحفظه القرآن فحفظ

وعلمه الشعر فرواه ورغب فى مفاخرة قومه وآبائه واجداده فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل

خلقه حملته على اعناق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بوتيات القوم الخيلاء

فاخذ من امر الضيف واطعام الطعام واناعليه وجلة اشفق عليه من العيون ان تصيبه فاتفق

انا نزلنا منهلا من المناهل بين احياء العرب فخرج فتيان الحى فى طلب ثارلهم وشاء الله تعالى ان اصابته

وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا امعن القوم ولم يبق فى الحى غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا

ان ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلائع العدو فما هو الا هنيهة حتى

احرزوا الاموال دون اهلها الا وهو يسألنى عن الصوت وانا استر الخبر اشفاقا وصيانة

حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات رمى دثاره وثار كما يثور الاسد وامر باسراج

فرسه ولبس لامة حربه واخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن ادناهم منه فرمى به

ولحق ابعدهم فقتله فانصرفت وجوه الفرسان اليه فرموا صبيا صغيرا لا مدود وراءه وامتدوا

فى اثره عطف عليهم ففرق جمعهم وشتت شملهم وقتل اكثرهم ومرق كما يمرق السهم ونادهم

خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به او لاهلكن دونه فانصرفت اليه الاقران وتمايلت اليه

الفرسان وتميزت اليه الفتيان وحملوا عليه وقد رفعوا له الاسنة وقلصوا عليه الاعنة

فوثب عليهم وهو يهدر كما يهدر الفحل وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة

الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجى به فرسه ثم ساق المال واقبل به فكبر القوم عند رؤيته

وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأيت يوما قط كان اسمح صباحا واحسن رواحا من ذلك

اليوم ولقد سمعته يقول فى وجوه فتيان الحى ابياتا وهى هذه

تاملن فى فعلى هل رأيتن مثله ، اذا احرجت نفس الجبان من الكرب